

## صفائح الزينكو المعدنية تحتدم في تجهيزات عبدالرحمن قطناني

في آخر معرض فني له، قدّم الفنان الفلسطيني متعدد الوسائط عبدالرحمن قطناني تجهيزاً فنياً في صالة "صالح بركات" البيروتية تحت عنوان "عصف ذهني". وهو عمل مركب يروي بعضاً من سنوات اللجوء التي عاشها الفنان ليمنحها تجهيزه الفني الأثّر.

وصمّت جدران الفنان "الزنيكية" بورترية لشخصيات لعبت دوراً كبيراً في القضية الفلسطينية منها بورترية لياسر عرفات، وأمراء من منطقة الخليج العربي، شكلها الفنان على طبقات براميل النفط الدائرية. كما صمّت أعمال تركيب وتجميع لمواد مختلفة برع الفنان في تنفيذها تقنياً وفنياً.

دخل عنصر إلى عالم قطناني لم يستخدمه من قبل وهو المرابا، فضاغف من رمزية التجهيز في معانٍ متعدّدة. وللسير وليس "للتجوال" في المشهد الفني، اختار الفنان أن لا ينقل أجواء المخيم إلا وقد حرّرها من مثاليته القمعية. إذا صحّ التعبير، وهي على سبيل المثال وليس الحصر، رداءة مضائق السير بين البيوت الهزيلة بسبب الخفر وتجمّع المياه الآسنة ومياه الأمطار.

**الفنان الفلسطيني وظّف في مجمل عمله الفني، مواد متفرقة استقدمها من بيئة المخيم وأهبا إياها سرداً تعبيرياً فنياً**

أدخل الفنان إلى تجهيزه الفني هذا، المرابا. مرابا لعبت دوراً كبيراً في توسيع حدود المكان وجعله أقلّ مأساوية، إذ أضف إليه اضطراباً بصرياً جعله عالماً خيالياً قابلاً للتحوّل إلى تقيضه في أي لحظة.

وخلافاً لما في الفضاءات المعدنية العادية ساهمت هذه المرابا، التي يعثر فيها السائر في كل لحظة على انعكاسه، في بلورة جسّ التخيل في سرداب "شحيح" يبخل على السائر من نعمة انفضاح نظره نحو احتمالات أخرى أقلّ إجحافاً.

من ناحية أخرى استدرج الفنان، كل سائر في هذه المتاهة، إلى أن يصبح فلسطينياً ساكناً / سائراً فيها، وفق عالم مُسبق بتلافيفها وهو مُتكل على ذاكرته البصرية والتخيلية كي يدرك في أي بقعة من المتاهة هو، وإلى أين ستأخذه المتاهة، الغائبة حتماً عن حقل النظر.

كنتيجة لوجود هذه المرابا "الفانتازية" التي يباعد ما بينها صفائح زنيكية ملونة، يختبر السائر في المتاهة ما اختبرته "اليس في بلاد العجائب" حين سقطت في جحر الأرنّب. فقد أحدثت المرابا في المتاهة شرخاً في مفهوم الزمن، زمن السقوط أو تعلقه، وبالتالي أحدثت تصدّعاً في مفهوم المكان وبنية غير النهائية.

كما في رواية اليس الضاجة بالمعاني المُقلّقة يجعل الفنان عبدالرحمن قطناني موجة عارمة وهادئة مادتها من الأسلاك الشائكة التي تحوّل معناها الدرامي إلى تقيضه، ناطقاً بالصبر الذي رافق صاحبه (أي الفنان) لمدة ثمانية أشهر حتى يوم الإنجاز.

أهم ما يمكن قوله عن الفنان الفلسطيني في هذا التجهيز هو أن المركب من متاهة وموجة تشكّلت فوائداً مما وجد في المتاهة وصنع منها، هو فن يجترع معجزة الخلاص والاعتراف بأهل المتاهة وضاع الموجة.



موجة عارمة ترمز إلى الاحتلال والمنفى القسري

ميموزا العراوي  
ناقدة لبنانية

بيروت - "عصف ذهني" تجهيز فني للفنان الفلسطيني الشاب عبدالرحمن قطناني احتكر فضاء صالة "صالح بركات" البيروتية الرحب لعدة أسابيع، وهي التي أطلقت في الأسبوع الأخير من المعرض كتاباً عن الفنان شمل مقالات بالفرنسية والإنجليزية كتبها كل من: بول أردين، ميرنا عياد، ناتاشا غاسباريان وباربرا بولا، إضافة إلى مقابلة مع نيكولاس إتشغوفكا.

شمل هذا المحتوى تجربة قطناني، من البدايات مع المعدن المموج (الزنيكو) والأسلاك الشائكة وصولاً إلى تجهيزاته في الوقت الحاضر. وكانت الصالة الفنية قد قدّمت الفنان في هذه الكلمات "ولد وعاش عبدالرحمن قطناني حياته لأجناً في مخيم صبرا وشاتيلا في لبنان. ظهرت موهبته الفنية في سنوات طفولته المبكرة عندما بدأ الرسم متخذاً من الحقائق المؤلمة للحياة اليومية للاجئين في المخيم حجر أساس لأعماله".

وظّف قطناني في مجمل عمله الفني، السابق والحاضر، مواد متفرقة استقدمها من بيئة المخيم وأهبا إياها "سرداً" تعبيرياً فنياً. من تلك المواد المستخدمة نجد ألواح الصفيح والكرتون، والخرق من الملابس البالية وسدادات قناني المشروبات الغازية والأواني القديمة.

شكل التجهيز الفني، بعد عدة أشهر على تقديمه، في جدران كل من زاره حالة امتدت إلى ما بعد نهاية الحدث الفني الذي انطلق مع بداية الانتفاضة اللبنانية (افتتح المعرض آنذاك دون احتفال رسمي). حالة أرخت بظلمة على مجمل الحوادث التي تلت، بداية تصدّخ مظاهر الفساد في لبنان وامتدادها إلى الأزمات السياسية والاجتماعية حتى انفجار 4 أغسطس الذي عصف بمدينة بيروت عصفاً غير مسبوق حتى وصف بأنه انفجار نووي، وصولاً إلى التحوّلات السياسية و"العصف الذهني" الذي طال، ويصيّغ مختلفه البلد، من ذلك مفهوم العلاقات القادمة مع دولة إسرائيل على أرض فلسطين.

كما شكّل هذا التجهيز الفني السينوغرافي الذي يُحاكي مخيّمات اللاجئين الفلسطينيين في لبنان، لاسيما مخيم صبرا وشاتيلا "غير الإنساني" حيث ولد وعاش الفنان، بنياناً رمزياً قوامه وجدرانه صفائح الزينكو المعدنية وتشمل بهندسته المواربة والخائفة اللبنانيين والفلسطينيين على السواء ليتعداهما اليوم وصولاً إلى مصائر الشعوب العربية في بلدان مجاورة.

التجهيز الفني الضخم الذي قدّمه الفنان في صالة "صالح بركات" شبيهه بدهليز ضيق يتعرّج ويلتف على ذاته إلى أن يقضي في نهاية المطاف إلى عمق صالة العرض، حيث مساحة أكثر رحابة أقام فيها الفنان "موجته" العارمة المصنوعة من الأسلاك الشائكة.

موجة من ثمانية أمتار عرضاً وثلاثة طولاً، لا يخفى على أحد أنها ترمز إلى الاحتلال والمنفى القسري وما نتج عنها من ماس للشعب الفلسطيني بشكل خاص والشعوب العربية بشكل عام التي طالما اعتبرت فلسطين قضية تخصها أيضاً.

## نبيل علي يزواج الألم بالأمل في لوحات سريرية

فنان عراقي يشكّل من الكاريكاتير سردية بصرية موجعة عن الوطن



كرسيّ تسيند عالماً يبرز تحت الخراب

ومدى إلمامه بتاريخية التشكيل العراقي، فالتاب أن تاريخ حاضرة وأحياء الشعبية، موضوعات حاضرة وبقوة في أعماله التشكيلية، مثل رموز الحضارات العراقية المتعاقبة كالبابلية والسومرية، وعمارة "الشناشيل"، وهي العمارة البغدادية التي يزيد عمرها على 150 عاماً، وغيرها من اللوحات التي تحضر فيها روح العراق القديمة.

وهو الذي يؤكّد أن "الشرق بترائه وغناه من حيث موضوعاته وطبيعته وتاريخه ومعالمه، هو الأقرب إلى قلبه"، مشيراً إلى أنه يستوحيه الشرق بكل تفاصيله وهو المعلم له، وأنه كثيراً ما يرسم الخيل العربي كأحد المفردات العربية والشرقية البارزة.

وغير بعيد عن الاستلham من الشرق في أشكاله ومفرداته التشكيلية يحضر اللون في لوحات علي مزيجاً بين الضوء الساطع المتفائل وبين الترابي الفاتر الذي يحيل إلى القاتمة والألم، لتسالة "العرب"، أي قصيدة من وراء هذا المزج؟

**بين التجريدية والسريالية  
تحضر في لوحات الفنان  
ملاحم من ملحمة جلجامش،  
وكانه يؤنّس عبرها إلى  
نوستالجيا مضت**

ويجيب "الألوان في العادة تعبّر عن حالتها لحظة الرسم، فإذا كان المزاج الوضع العام ملوّه السعادة والأجواء الإيجابية تنعكس تلك الحالة على لوحتي بالوان مفرحة ومضيئة، وأما إذا كان الجو العام حزينا بسبب الظروف القاسية الذي يعيشها المواطن العراقي ومن ثمّ العراق، هنا تكون الألوان قاتمة وحركات الفرشاة فيها انفعال قوي، وفي بعض الأحيان تنكسر الفرشاة بين أناملتي أثناء الضغط القوي عليها، نتيجة المزاج الذي أمر به حينها، فكل لوحة قصة ومزاج مختلفين ولكل لون إحساسه الخاص".

ويضيف "الألوان في النهاية، عندي بمثابة رسائل أودّ من خلالها التعبير عما يدور حولنا من أحداث اجتماعية وسياسية وأيضاً صحية، كما هو حالنا الآن مع جائحة كورونا".

ونبيل علي من مواليد بغداد في العام 1980، متحصّل على دبلوم معهد الفنون الجميلة 2003، وبكالوريوس كلية الفنون الجميلة ببغداد 2009، وهو عضو جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين وعضو نقابة الفنانين التشكيليين العراقيين وأستاذ في كلية التربية الفنية الجامعة المستنصرية.

له العديد من المعارض الشخصية منها "اللائني حديث وموسيقى" في العاصمة الأردنية عمّان (2016)، و"قوارب ورقية" في القاهرة (2017)، و"أسفار" في القاهرة (2020)، كما له معرض شخصي افتراضي على موقع وزارة الثقافة العراقية (2020). وأعماله مقتناة في العديد من دول العالم كتركيا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة والأردن والإمارات وقطر.

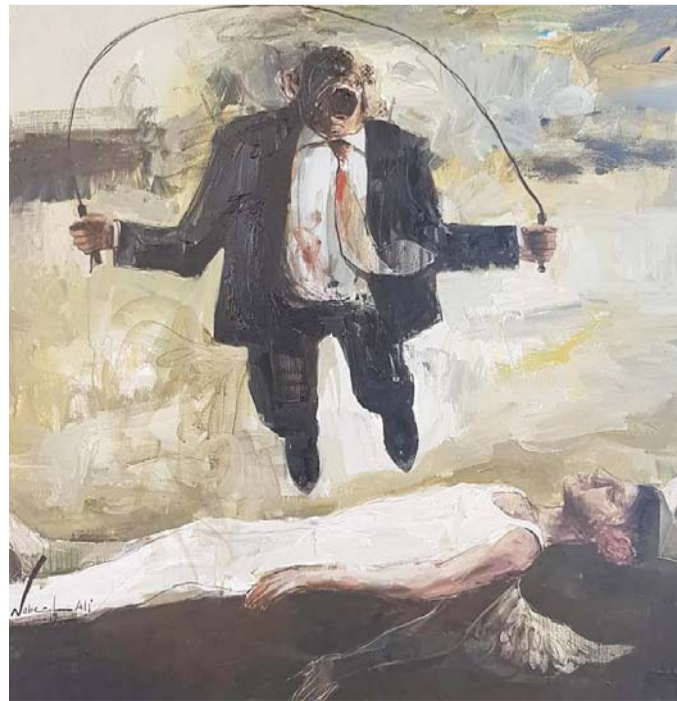
وعنه يجيب "كما أسلفت وقلت، الفنان جزء من المجتمع، ووجب عليه أن يتفاعل مع هذه الأزمة الصحية العالمية، ويسهم في توعية الناس ويُغيّر من سلوكياتهم في أضعف الحالات، من هناك شعرت أنه من واجبي تناول الجائحة بشكل كاريكاتيري صادم، كي تصل الفكرة بسهولة لكل الفئات المجتمعية والشرائح العمرية وتكون رسالة واضحة وحقيقية".

**أزمات متعاقبة**

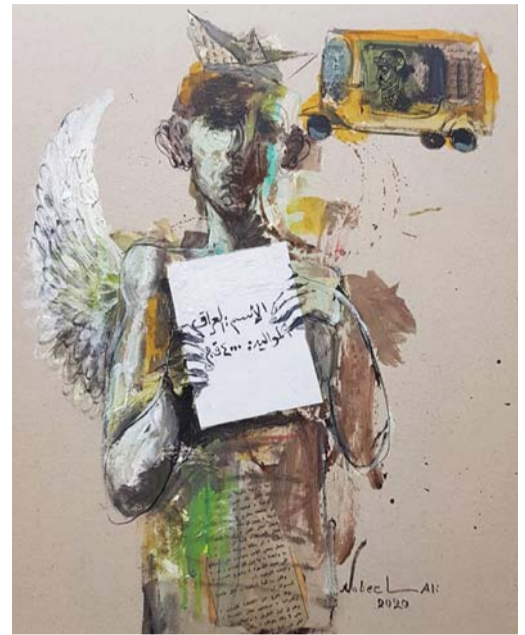
بين التعبيرية والسريالية تحضر في لوحات نبيل علي ملاحم من ملحمة جلجامش، وكانه يؤنّس من خلالها إلى نوستالجيا مضت، وعن ذلك يقول الفنان العراقي الشاب "من الطبيعي في بلد مثل العراق له حضارة عظيمة ومؤثرة في العالم القديم والحديث، أن تحضر تأثيراتها بشكل مقصود أو غير مقصود في أعمالني من خلال توارث الجينات، فالإنسان العراقي القديم كان مبدعاً في مجال فن الرسم والنحت وقدّم أعمالاً مهمة أثرت العالم".

ويسترسل "في بعض الأحيان عندما أرسّم تخرج أشكال وموضوعات ترتبط عفوياً بالرسم الجدارية القديمة مثل الأجنحة على الأشخاص، وهي موجودة في الرسوم والمنحوتات الأثرية وتمثّل الإله والملوك وأيضاً طريقة اللحن والإكسسوارات، والألوان الترابية في بعض الأعمال هي امتداد لحضارتنا العريقة، واختياري لثيمة الرجل والمرأة وهما يمثلان ظهر حصان، فيه إشارة لسعيهما الدؤوب نحو المدينة المهجور، فالأبدية، وهذا طبعاً غير مقصود، فعندما أضغ اللوحة وأبدأ بالرسم لا أعلم ماذا أريد أن أرسّم ولا أحضر سكيتش، فتخرج هذه الأشكال بشكل عفوي، وهنا أترك للمتلقّي حرية قراءة العمل وتأويله".

وإن بدت إجابة نبيل علي عن سؤال "العرب" منفتحة على التأويل والقراءات المتعددة من قبل المتلقّي حسب ثقافته



قفر منتش على جثث الموتى



عراق التاريخ والحضارة الذي كان

تحضر معاناة الشعب العراقي ومشاغله اليومية بقوة في أعمال الفنان التشكيلي نبيل علي، وهو الذي تناول في أحد معارضه الشخصية الذي أقامه بالعاصمة المصرية القاهرة، مفردة القارب الورقي في تعبير عن المعاناة الدائمة للعراقيين، وما يتعرّضون له من مخاطر وأهوال خلال محاولاتهم الهجرة، بحثاً عن أمن وأمان مشتهين طال انتظارهما.

الفنية، فترى في إحدى لوحاته بانخة الألوان رجلاً يجلس على كرسي وثير، كرسيّ تسيند العالم، وهو بكامل أناقته والقه التشكيلي إلى أعلى مستوى الراس الذي جاء دائرياً/فايروسياً في إشارة صريحة إلى الحرب الجرثومية التي يعيشها العالم الاستهلاكي المهتك اقتصادياً واجتماعياً، بل وصحياً، اليوم.

فايروس مقيت يأتينا في لوحة أخرى على شكل فقاقيع من الصابون ينفثها رجل/ مسخ في الهواء الطلق من رثتين مريضتين، ناشراً الوباء على الجميع وهو يمرح بلبعته القاتلة. وفي ثالثة تتقيأ فيها ثلاثة رؤوس من بعضها البعض مُستفرغة ما في أحشائها من الوباء عليها تنجو بنفسها، والحال أنها لن تنجوا أبداً، طالما رمت ما في جوفها على أرض ستدوسها أقدام أخرى، تعيد عجلة دوران الفايروس إلى المربع الأول من العدوى المرضية.

وهو ما عبرت عنه لوحة رابعة تظهر فيها مدينة، ربما عربية أو غربية، فهذا غير مهم، إنما المهم هنا أنها خالية من سكانها عدا أرواح محلّقة بكمامات طبية متجهة إلى مكان بات معلوماً للجميع، إنه الغناء الأزلي.

لوحة معبرة تشي بعالم ديستوبي سيضمّل الأرض وما عليها، وإن ظلت القطط والكلاب الشاردة تعبت في فضاء المدينة المهجور، فالأفيد أن تسكعها الحيتني لن يطول.

سردية بصرية موجعة للجائحة، يقدها نبيل علي بشكل كاريكاتيري ساخر أحياناً وصادم في الغالب، حفزت فينا السؤال التالي: هل ما عاد الوباء مَخيفاً بالنسبة للمواطن العراقي الذي جُبل على الماسي، لتقدّمه بكل هذا التهكم؟

صابر بن عامر  
صحافي تونسي

يسعى الفنان التشكيلي الشاب نبيل علي من خلال أعماله الفنية سواء تلك التي يُشارك بها في معارض فردية وأخرى جماعية أو التي ينشرها دورياً على صفحته الخاصة بفيسبوك، إلى توثيق ما يجري على الأرض في وطنه العراق منذ سقوط بغداد في العام 2003، وحتى الآن، جاعلاً من الفن لمهارة عن مآساته الشخصية والجماعية إزاء وطن يزرع تحت وأبل من جرائم القتل والفساد والمحسوبية.

نبيل علي  
من واجبي كفتان أن  
أكتشف وأفضح الوجه  
الأخّر القبيح للسياسيين

وهو الذي يقول في حوار له مع "العرب"، "الفنان هو ابن بيئته ويتأثر بالأحداث التي تدور حوله وهو جزء من المجتمع، لذلك أنا أرى من واجبي أن يكون صاحب رسالة من خلال طرح أعمال فنية يعكس فيها ما يدور من أحداث سياسية، وأن يفضح ويكشف الوجه الأخر القبيح للسياسيين، لأن من غير المعقول أن يتخذ الحيات، هنا يصبح فناناً متواطئاً وغير حقيقي.

لذلك على الفن أن ينقل الأحداث بكل حذافيرها ويحاول إيجاد حلول من خلال طرح أعمال فنية تُؤثّر في المجتمع".

وهذا الطرح نجده عميقاً في لوحات علي السياسية، إن صحّ التوصيف، وربما تأتي اللوحة التي رسم فيها الفنان العراقي رجلاً بدا في هيئة مسؤول سياسي نافذ، وهو يقف على جفة أحد الموتى، من خلال لعبة القفز بالحبل التي طالما استمتعنا بها ونحن يافعون، فأنت لذاك المسؤول أن يستمتع بلبعته في حضرة الموت وسكراته الأخيرة؟

سؤال مُربك يُجيب عنه أثر فني آخر اجتمع فيه خليط من الناس، شيب وشباب في غياب كلي لحضور المرأة وسط مجتمع ذكوري إلى النخاع، وهم يشيرون إلى كرسيّ خاو من جلسه في جزء قصي من اللوحة، ما يحيلنا إلى تلك الرمزية المتوارثة في ثقافتنا العربية عن الكرسيّ بابعاده الشمولية، فهو عين الداء وسبب شفاء الشعوب.

**عن الجائحة وأهوالها**

لوحات تناولت الأوضاع المتردية بالبلد وتفشيها أكثر فأكثر عاماً بعد عام، حالها في ذلك حال وباء كورونا الذي عمّ العالم فأربك الناس وحزّاس صحتهم على السواء.

وباء تناوله الرسام العراقي الشاب بشيء من التهكم الأليم في آخر أعماله